

تفسير سورة براءة، ويقال التويبة 1-4

تفسير سورة براءة، ويقال التويبة 1-4

هَذِهِ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ مَدْنِيَّةٌ، وَهِيَ آخِرُ سُورَةٍ نَزَّلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَامِلَةً، أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ الْبَرَاءِ قَالَ: آخِرُ آيَةٍ نَزَّلَتْ {يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيْكُمْ فِي الْكَلَالَةِ} [النَّسَاءِ: 176]، وَآخِرُ سُورَةٍ نَزَّلَتْ: "بِرَاءَةً".

وَالصَّاحِبَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لَمْ يَكْتُبُوا سُطْرَ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) فِي سُورَةِ «بِرَاءَةٍ»، هَذِهِ فِي الْمَصَاحِفِ الْعُثْمَانِيَّةِ، وَأَخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي سَبَبِ سُقُوطِ الْبِسْمَلَةِ مِنْهَا عَلَى أَقْوَالِهِمْ، لَمْ أَجِدْ دَلِيلًا صَحِيحًا يَقُوِيَ أَحَدُ الْأَقْوَالِ عَلَى الْأُخْرَى.

قَالَ صَالِحُ بْنُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ: وَسَأَلَهُ -يَعْنِي الْإِمَامَ أَحْمَدَ- عَنْ سُورَةِ الْأَنْفَالِ وَسُورَةِ التَّوْبَةِ: هَلْ يَجُوزُ لِلرَّجُلِ أَنْ يَفْصِلَ بَيْنَهُمَا بِـ {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}؟

قَالَ أَبِي: يُنْتَهِي فِي الْقُرْآنِ إِلَى مَا أَجْمَعُوا عَلَيْهِ، أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَا يَزَادُ فِيهِ وَلَا يَنْقُصُ.

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: وَإِنَّمَا لَمْ يُبَسِّمُوا فِي أَوْلَاهَا؛ لِلَّأَنَّ الصَّحَابَةَ لَمْ يَكْتُبُوا الْبِسْمَلَةَ فِي أَوْلَاهَا فِي الْمَصَحَّفِ الْإِلَمَامِ، بَلْ اقْتَدُوا فِي ذَلِكَ بِأَمْرِ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ بْنَ عَفَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ.

{بِرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (1)}

أَيْ تَبَرُّ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى مَنْ كَانَ لَهُ عَهْدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَالْبَرَاءَةُ: خُرُوجٌ مِنَ الشَّيْءِ، وَمُفَارَقَةُ لَهُ.

أي: هذه براءة من الله ومن رسوله إلى جميع المشركين المعااهدين، أي الذين بينهم وبين المسلمين عهد على أنه لا قتال بينهم، أن لهم أربعة أشهر يمشون في الأرض على اختيارهم، آمنين من المؤمنين، وبعد الأربعة أشهر فلا عهد لهم، ولا ميثاق.

{فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنْكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْرِي الْكَافِرِينَ (2)}

{فَسِيحُوا} أيها المشركون المعااهدون **{فِي الْأَرْضِ}** أي: قل لهم سيحوا أي: سيروا في الأرض آمنين غير خائفين أحداً من المسلمين **{أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ}** وبعدها لا عهد لكم وأمان **{وَاعْلَمُوا}** وأيقنوا **{أَنْكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ}** لن تفلتوا من عذاب الله وعقابه إذا بقيتم على كفركم **{وَأَنَّ اللَّهَ مُخْرِي الْكَافِرِينَ}** أي: مذلهم بالقتل في الدنيا وال العذاب في الآخرة.

اختلف العلماء في هذا التأجيل، وفي هؤلاء الذي برئ الله ورسوله إليهم من العهود التي كانت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال ابن كثير: اختلف المفسرون هنا اختلافاً كثيراً، فقال قائلون: هذه الآية لذوي العهود المطلقة غير المؤقتة أو من له عهد دون أربعة أشهر فيكمل له أربعة أشهر، فاما من كان له عهد مؤقت فأجله إلى مدة مهما كان، لقوله تعالى: **{فَأَتَمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدِّهِمْ}** [التجوية: 4] الآية، ولما سيأتي في الحديث. ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فعهده إلى مدة، وهذا أحسن الأقوال وأقواها، وقد اختاره ابن جرير رحمه الله.

فهذا القول يعني: كل من له عهد إلى مدة محددة فيتم له عهده إلى المدة المحددة على حسب الاتفاق، ومن له عهد غير محدد بوقت

أو كان عهده أقل من أربعة أشهر؛ فهو لا يعطون عهداً إلى أربعة أشهر، تبدأ من يوم الحج الأكبر وتنتهي بانتهاء عشر من ربيع الآخر. وهذا القول هو الصواب. والله أعلم

{وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجَّ الْلَّا كِبَرُ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تَبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَوَلَّتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مَعْجِزِي اللَّهِ وَيَشِّرِّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعِذَابٍ أَلِيمٍ} (3)

{وَأَذَانٌ} عطف على قوله: {بَرَاءَةٌ} أي: إعلام {منَ اللَّهِ وَ} من {رَسُولِهِ إِلَى} جميع {النَّاسِ يَوْمَ الْحَجَّ الْلَّا كِبَرُ} اختلفوا في يوم الحج الأكبر، والراجح أنه يوم النحر.

{أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ} أي: ورسوله أيضاً بريء من المشركين، ثم دعاهم إلى التوبة فقال: {فَإِنْ تُبْتُمْ} مما أنتم فيه من الشرك والضلال {فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَوَلَّتُمْ} أعرضتم عن الإيمان، واستمررتם على ما أنتم عليه {فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مَعْجِزِي اللَّهِ} بل هو قادر عليكم، وأنتم في قبضته، وتحت قهره ومشيئته، فلا يمكنكم الخلاص من عذابه وعقابه {وَيَشِّرِّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعِذَابٍ أَلِيمٍ} موجع مؤلم.

{إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئاً وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتَمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدْتَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ} (4)

{إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ} هذا استثناء من قوله: {بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ} إلا من له عهد مؤقت، أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بإتمام عهدهم إلى مدتھم، والسبب أنهم لم ينقضوا العهد، وهذا معنى قوله تعالى:

{**ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا**} لم يخونوا عهدهم الذي عاهدتموهם عليه
{**وَلَمْ يُظَاهِرُوا**} لم يعاونوا {**عَلَيْكُمْ أَحَدًا**} من عدوكم {**فَأَتَمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ**} فأوفوا لهم بعهدهم {**إِلَيْيِ مُدْتَهِمْ**} إلى أجلهم الذي عاهدتموهם عليه {**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ**} إن الله يحب من اتقى عذابه بأداء فرائضه واجتناب معااصيه، ومن ذلك الوفاء بالعهد، واجتناب الخيانة.